المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

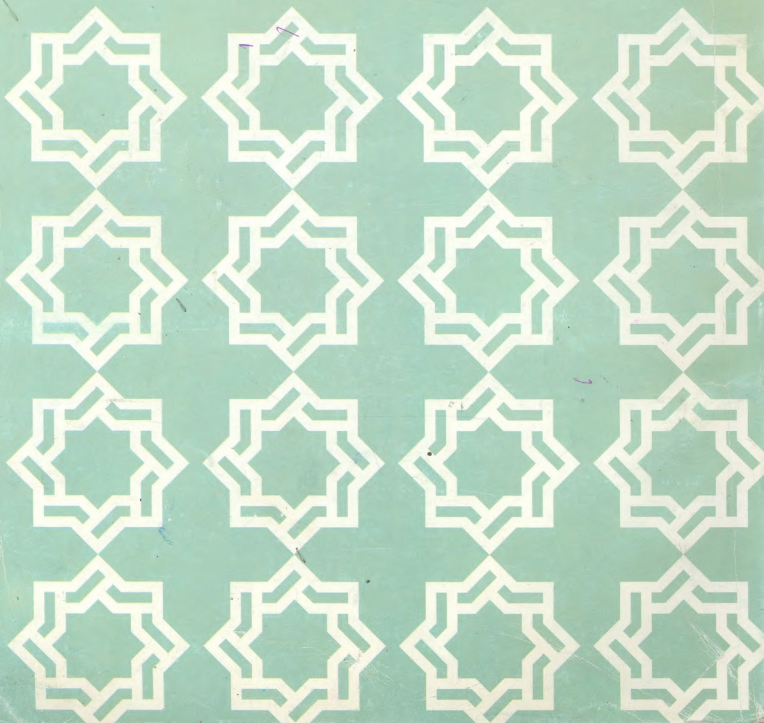

كتاب تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ

للشيخ الامام العلامة جمال الدين
ابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي

تحقيق وتقديم

هلال ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

بين يدي الكتاب

في مقدمتي لكتاب ـ بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب ـ الذي نشرته المورد في العدد الثالث من مجلدها الثاني، ترجمت لابن الجوزي ترجمة مركزة ألمت بالخطوط الرئيسة من حياته . واحلت على مظان تلك الترجمة لمن اراد التوسع . لذلك لا فائدة من اعادة تلك المعلومات لسبق نشرها وقرب العهد بها .

غير اني رايت ـ وانا انشر هذا المخطوط الوعظي للمرة الاولى ـ ، ضرورة الاشارة الى ما تفرد به ابن الجوزي في عصره من ملكة في الوعظ لا نظير لها حتى قال عنها معاصره العلامة عبداللطيف البغدادي : « واما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ، ان ارتجل اجاد ، وان روى ابدع »(١) .

كما قال عنه ايضا : « يحضر مجلسه مائة الف او يزيدون » .

وحتى قال ابن الجوزي عن نفسه : « تاب على يدي مائة الف ، واسلم على يدي عشرون الف يهودي ونصراني »(٢) في معرض الاشارة الى قدرته الوعظية الخارقة .

وقد يقال ان فيما تقدم مبالغة قد لا تحتملها روح عصرنا ، غير اننا نجد شهادة لمعاصره الرحالة ابن جبير ترسم صورة حية فذة لموهبة ابن الجوزي الوعظية الخارقة ، قال ابن جبير(٣) : « ومن ابهر آياته ، واكبر معجزاته ، انه يصعد المنبر ويبتديء القراء بالقرآن ، وعددهم نيف على العشرين قارئا ، فينتزع الاثنان منهم او الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة اخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة ، وقد اتوا بآيات مشتبهات ، لايكاد المتقد الخاطر يحصلها عددا ، او يسميها نسقا . فاذا فرغوا اخذ هذا الامام الغريب الشان في ايراد خطبته ، عَجِلا مبتدرا ، وافرغ في اصداف الاسماع من الفاظه دررا ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في اثناء خطبته فِقَرا ، واتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدما ولا مؤخرا . ثم اكمل الخطبة على قافية آخر آية منها . فلو ان ابدع مَنْ في مجلسه تكلف تسمية ماقرا القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينتظمها مرتجلا ، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ! « افسحر هذا ام انتم لا تبصرون » ، « ان هذا لهو الفضل المبين » فحدث ولا حرج عن البحر ، ليس الخَبَرَ عنه كالخُبْر ! .

ثم انه اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقا ، وذابت بها الانفس احتراقا ، الى ان علا الضجيج ، وتردد بشهقاته النشيج ، واعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ، ويمسح على راسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع اليه ، فشاهدنا هولا يملا النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ، ونعتسف مفازات القفر الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابحة ، والوجهة المفلحة الناجحة ، والحمد لله على ان من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله .

وفي اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتطير اليه الرقاع ، فيجاوب اسرع من طرفة عين . وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا اله سواه » .

ويستانف ابن جبير وصف مجالس ابن الجوزي الوعظية فيقول : ثم شاهدنا مجلسا ثانيا له ، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر ، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ، ومناظره مشرفة عليه . وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخُص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحُرَم . ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع ، وقد بسط بالحُصُر . وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا الى ان وصل هذا الحبر المتكلم ، فصعد المنبر ، وارخى طيلسانه عن راسه تواضعا لحرمة المكان ، وقد تسطر القراء امامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوقوا ما شاءوا ، واطربوا ما ارادوا وبدرت العيون بارسال الدموع . فلما فرغوا من القراءة ، وقد احصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء ، واتى باوائل الآيات في اثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فِقْرة آخر آية منها في الترتيب الى ان اكملها ، وكانت الآية « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس » ، فتمادى على هذا السنن ، وحسن اي تحسين ، فكان يومه في ذلك اعجب من امسه ، ثم اخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكنى عنها بالستر الاشرف ، والجناب الأراف . ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة اخرى . فارسلت وابلها العيون ، وابدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الالباب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ، ولا تميز معقولا ، ولا تجد للصبر سبيلا .

ثم (يجيء) في اثناء مجلسه باشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق تشمل القلوب وجدا ، ويعود موضعها

---

(١) و (٢) في الذيل على طبقات الحنابلة ص ٤١٢ .

(٣) النص في رحلة ابن جبير ص ١٩٧ـ٢٠٠ طبعة دار صادر .

النسيبي زهدا . وكان آخر ما انشده من ذلك ، وقد اخذ المجلس ماخذه من الاحترام ، واصابت المقاتل سهام ذلك الكلام:

أين فؤادي اذابه الوجدُ
وأين قلبي فما صحا بعدُ
ياسعدُ زدني جوى بذكرهمُ
بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد اثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، الى أن خاف الافحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشا عجلا . وقد اطار القلوب وجلا ، وترك الناس على اثر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر . فمن معلن بالانتحاب ، ومن متمغر في التراب . فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما اسعد من رآه . نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفي اول مجلسه انشد قصيدا نير القبس ، عراقي النفس ، في الخليفة ، اوله :

في شمأل من الغرام شمائل
من هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيه عند ذكر الخليفة :

ياكلمات الله كوني عُوذةً
من العيون للامام الكامل

ففرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا . ثم اخذ في شانه وتمادى في ايراد سحر بيانه . وما كنا نحسب ان متكلما في الدنيا يُعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما اعطي هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده ، لا اله غيره » .

حتى قال : « وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة ، شرفهما الله ، مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد ، فصغرت ، بالاضافة لمجلس هذا الرجل الفذ ، في نفوسنا قدرا ، ولم نستطب لها ذكرا . واين تقعان مما اريد ، وشتان بين اليزيدين ، وهيهات ! الفتيان كثير ، والمثل بمالك يسير ! » .

ثم قال ابن جبير : « وحضرنا له مجلسا ثالثا ، يوم السبت الثالث عشر لصفر ، بالموضع المذكور بازاء داره على الشط الشرقي ، فاخذت معجزاته البيانيه ماخذها ، فشاهدنا من امره عجبا ، صعد بوعظه انفاس الحاضرين سحبا ، واسال من ادمعهم وابلا سكبا ، ثم جعل يردد في آخر مجلسه أبياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا ، الى ان غلبته الرقة فوثب من اعلى منبره والها مكتئبا ، وغادر الكل متندما على نفسه منتحبا ، لهفان ينادي : ياحسرتا واحربا ، والنادبون يدورون بنحيبهم دور الرحى ، وكل منهم بمَدْمَعٍ من سكرته ما صحا ، فسبحان من خلقه عبرة لاولى الالباب ، وجعله لتوبة عباده اقوى الاسباب ، لا اله سواه » .

الى هنا ينتهي كلام ابن جبير عن صاحبنا ، وهو كما قدمنا قد رسم صورة حية فذة لموهبة ابن الجوزي في الوعظ وتفرده بذلك بين معاصريه ، وهذه الصورة شهادة عديمة النظير من رجل لا تحوم حول شهادته شبهة ، وبها يتضح ان ما ذكره ابن الجوزي عن نفسه ومن تاب واسلم على يديه بعيد عن المبالغة كل البعد ، بل هو الحقيقة الخارقة الناطقة .

وهذا الكتاب من مصنفات ابن الجوزي وقد ذكره اسماعيل البغدادي في هدية العارفين (العمود ٥٢١) ضمن تآليفه باسم (تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ) .

وذكره ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٩/١ باسم (تحفة الوعاظ) في تآليف ابن الجوزي .

كما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٣٧٦/١ باسم تحفة الوعاظ منسوبا لابن الجوزي وقال : (سماه تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ مشتمل على خمسة وعشرين فصلا اوله الحمد لله على تعليمه حمدا يوجب المزيد) .

كذلك ذكره بروكلمان باسم (تحفة الوعاظ) مشيرا الى تلخيص له صنفه احمد بن يحيى بن المرتضى .

وباسم (تحفة الوعظ) ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام .

ومخطوطتنا هذه احدى نسختين فريدتين في العالم من هذا الكتاب .

احداهما هي المخطوطة المحفوظة في مكتبة جامع محمد الفاتح بالاستانة برقم ٥٢٩٥/١٠ وقد تعذر تصويرها . والاخرى وهي التي حققناها كتبها جدنا عالم عصره وامير خطاطيه السيد عبدالوهاب بن السيد عبدالرزاق بن السيد محمد بن السيد ابراهيم الحسني البغدادي . وهي ضمن مجموع يضم ستة من مصنفات ابن الجوزي بالترتيب التالي :

١ ـ تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ .
٢ ـ الياقوته .
٣ ـ عجيب الخطب .
٤ ـ اللآلىء .
٥ ـ لفتة الكبد في نصيحة الولد .
٦ ـ المنثور .

وكان الفراغ من نسخ المجموع في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من شهور سنة الالف وثلثماية واربع وعشرين ، عدة صحائفه ١٥٢ صحيفة وقياس الصحيفة ١٤سم×٢٠سم ومعدل سطورها ٢٣ سطرا .

وتشغل « تحفة الواعظ » الصحائف ٢ ـ ٢٩ منه .

وقد ثبت اسم الكتاب واسم مؤلفه في صدره بالنص التالي :

« كتاب تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ للشيخ الامام العلامة جمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي رحمه الله » .

وهذا الكتاب من ابرز ما خلف ابن الجوزي في فن الوعظ. ولقد اصبح هذا الفن على يدي ابن الجوزي فنا مستقلا له ملامح وسمات في الاسلوب والتعبير والصياغة والتصوير .

ورغم ان (تحفة الواعظ) كتاب خالص في الوعظ ، الا ان فيه مادة ادبية دسمة يجسدها الشعر الوعظي الذي استشهد به المصنف في فصول الكتاب . وهذا الشعر الذي تدور معانيه حول الزهد والتامل والتاسي والاتعاظ لا وجود لاكثره في المجاميع الشعرية المطبوعة ، ولا في دواوين الشعراء المعروفة رغم كثرة البحث والتنقير .

من هنا تبرز واحدة من اهم ميزات هذا الكتاب وهي كونه يشكل باشعاره اضافة قيمة لديوان الزهد الاسلامي .

ومن المؤسف ان ابن الجوزي لم يعن بنسبة هذا الشعر لقائليه ولو فعل لتمت الفائدة .

ان شعر الزهد الذي اورده ابن الجوزي في كتابه هذا ليس نظما متكلفا ولا شعرا ركيكا ، بل هو شعر جيد شكلا ومضمونا ، وهو يدحض نظرية الزاعمين : ان الشعر يقوى في الشر ويضعف في الخير .

واذا كان السجع الوعظي قد غلب على فصول الكتاب فهو سجع موائم لزمنه ملائم لموضوعه . المهم انه لم يكن في عمومه سجعا متكلفا ، بل كان نابعا عن قدرة بيانية فذة .

وفي رايي ان هذا الكتاب يمثل انموذجا رفيعا لفن الوعظ في القرن السادس الهجري .

وانني بنشره اول مرة ، آمل ان اضيف جديدا الى كنوز تراثنا العربي الاسلامي ومن الله التوفيق .

كتاب تحفة الواعظ ونزهة اللاحظ

للشيخ الامام العلامة جمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الاوحد الصدر الكامل جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن علي ابن الجوزي رحمه الله : الحمد لله على تعليمه ، حمداً يوجب المزيد من تقويمه . واشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له في تعظيمه ، وان محمداً عبده ورسوله ارسله بفصيح الخطاب وقويمه ، ومبشراً بجنته ونعيمه ومحذراً من عذابه وجحيمه . صلى الله عليه وعلى من اتبعه واعترف بتقديمه . وهذه فصول من المواعظ كل فصل منها يحلي مجلس الواعظ . يشتمل على التوبيخ والملام ، فليكن في آخر الكلام ، فقد يغفر زلل البداية حسن الختام .

الفصل الاول

أيها الساكن الى مسكنه وسيخرج منه . والمفرط في زمنه وسيسأل عنه . حاسب نفسك على فعلك قبل الحساب وزنه . فكم مسئول عن عذره لم يبنه .

خذ كلامي مجبراً فامتحنه
وبميزان عقل راسك زنه
طاعة الله خير ما اكتسب العبـ
ـد فكن طائعاً ولا تعصينه
ما هلاك النفوس الا المعاصي
فتوقّ الهلاك لا تقربنه
ان شيئاً هلاك نفسك فيه
ينبغي أن تصون نفسك عنه

الى متى تغتر بسلامتك وتنسى حتفك ؟ واملك بين يديك واجلك خلفك . وصحيفتك قد حوت عنادك وخلافك . اما تعتبر بمن سبقك وقد فارقت إلفك ؟ وقد جعلت التقصير حلبتك والتفريط وصفك كم نهاك مولاك عن امر فبسطت اليه كفك . وكم اوعدك العذاب على فعل فما ردك الوعيد ولا كفك . ما هذه الغفلة والى البلى مصيرك ؟ وما هذا التواني لقد ضرك تقصيرك ؟ والى كم هذا التمادي لقد ساء تدبيرك ؟ وما هذا الفتور وقد صاح بك في اخذ صاحبك نذيرك ؟ جولانك في حبر البطالة حيرك . حملت من الذنوب ما قد اثقلك ، وكأنك بالموت قد بغتك ونقلك ، وانت على فعل المعاصي مصر كانه لابد لك . فاظلم عليك طرق الهدى بالهوى وبدلك . واعرضت عن شكر من بالنعم رباك وبالفضل جاد لك . فبماذا تحتج غداً اذا ناقشك وجادلك . ووقعت في مقام الشهوات فاصاب سهم الهوى مقتلك ، وآثرت الفاني على الباقي فائمر فعلك المقت لك . وتدور على جمع الدنانير وتنسى انه يدور لهلاكك الفلك . والموت يراصدك ليقتنصك فما اغفلك . تقبل الى من يريد هلاكك، وتعرض عن من كفلك . وينعم عليك فتعصيه بالانعام افّ لك . اغرّك حلمه فظننت انه اهملك لما امهلك ؟ اترى من فعل فعلك قبلك سلم ام هلك ؟ فانتبه لنفسك واستدرك زللك . وبادر زمنك الخالي واصلح خللك فستلقى في حفرة لا ترى فيها الا عملك . وهذا بعد ايام وقد قلت لك .

الفصل الثاني

اين آباؤك الذين مروا وسلفوا ؟ اين اقاربك اما رحلوا وانصرفوا ؟ أين ارباب القصور اقاموا في القبور وعطفوا ؟ اين الاحباب هجرهم المحبون وصدفوا ؟ فانتبه لنفسك فالمتيقظون قد عرفوا . سيحملك الاهل الى القبر وربما مروا بك وانحرفوا.

مهد لنفسك حان السقم والتلفُ
ولا تضيعن نفساً ما لها خلفُ
العمر ينفدُ والايام ذاهبة
والسبل شتى وسعي الناس يختلف
والناس في غفلة والموت يجمعهم
كل يعلل والارواح تختطف
وكل يوم مضى أو ليلة سلفت
فيها النفوس الى الآجال تزدلف
والمرء ضيف بدار لا مقام له
فيها الفجائع والروعات ترتدف
فاذكر سبيلا فضيعاً انت سالكه
ماعن ورود حياض الموت منصرف
واذكر تجرع كأس انت شاربها
وانت منجذب في غمرة دنف
والنفس في سكرات الموت دانية
والجسم في تعب والقلب يرتجف
واغمضوك حزانى بين مكتئب
وناشج عينه منهلة تكف
وغادروك باطباق الثرى وغدوا
ما آنسوك ولا واسوا ولا صرفوا
عنك الشدائدَ ، بل خلّوك منجدلا
فرداً وحيداً وولى القوم وانصرفوا

بعسكرٍ فيه اهل الملك قد خشعوا
امسوا سواءً فلا كبر ولا شرف
فرداً وحيداً غريباً لا وساد له
ممهداً من صعيد القبر يلتحف
واذكر مقاماً به الاصوات قد خشعت
في مجمع الخلق فيه الذل والنزف(١)
والخلق بين قريرِ العين مغتبط
وشاخص الطرف عانٍ قلبه يجف
وناضر الوجه مثل البدر مبتهج
جذلان ما مسه شر ولا نطف
في زمرة لم يروا بؤساً ولا غيراً
واسكنوا غرفات فوقها غُرَف
وقد جرت لهم الانهار فاطردت
وما اضر بهم سكر(٢) ولا ترف
فيا ابن آدم ما اعددت في مهل
لله درك ما تأتي وما تصف

ياحاملا من الذنوب اثقالا ثقالا . يامطمئنا سينقل لابدّ انتقالا . يا مصافيا عدوّه قد آثره ووالى . يانديم الخطايا قد تابعها ووالى . ياطامعا في البقاء وقد فني واطال آمالا . يا متخذاً من الاماني مع التواني مالا . يا معتمداً على ركني الصحة والسلامة كان قد مالا . يامرسلا عنان لهوه في ميدان زهوه ارسالا . كلما دعيت الى نفعك توانيت. وكلما حركت الى الخير تماديت . وما تنفعك عبرة وكم قد رأيت . كم قد نقلت الخُطى الى الخَطا وسعيت . وكم اذنبت ذنبا على نفسك وجنيت . وكم زجرك باخذ غيرك فما انتبهت ولا انتهيت . وكم خالفت مولاك في موافقة ما اشتهيت . وكم نهاك عن ذنوب فعلتها وما باليت . وكم خطر على قلبك ذكر ذنبك وما بكيت . وكم تشيع ميتا وتنسى الموت اذا وليت . يامن زمانه ينقضي بعسى وسوف وليت . ياجسداً حياً فيه قلب ميت . لقد آثرت على الصواب عين الغلط . ولقد جريت في عادتك على اقبح نمط . ولقد دنا اجلك وهذا املك قد شحط . ولقد ضيعت زمانك المغتنم ووقتك الملتقط . ولقد انذرك موت رفيقك واسمعك الوعظ لو فهمت الشمط . فيا ناسيا كل قبيح سلف منه وفرط . ابوك المصطفى بزلة واحدة هبط يامن يأمن يامن يأمن .

الفصل الثالث

ايها النائم وهو منتبه . والمتّجر في امر لايشتبه . يامن صاح به الموت في سلب صاحبه . وبصره مطلق في كل ما مرّ به :

١ ـ تَوَخَّ من الطُرُقِ اوساطها
وعرِّج عن الجانبِ المشتَبِهْ
٢ ـ وسَمْعَك صُنْ عن سماع القبيح
كصونِ اللسانِ عن الخوض بهْ
٣ ـ فانّكَ عندَ سماعِ القَبيح
شَريكٌ لقائِلِهِ فانتَبِهْ
٤ ـ فكم ازعج الحرص من طالب
فوافى المنية في مطلبه(*)

يا اخوان الغفلة تيقظوا . يا اقران البطالة تحفظوا . يا اهل المخالفة اقبلوا . يا معاشر المعرضين عنا اقبلوا . يامبارزينا بالخطايا لاتفعلوا . لتشيبن الذوائب من ظهور النوائب . ولتسوئن العواقب من لم يخف ولا يراقب . ولتضيقن المذاهب اذا ناقش الواهب . وليشهدن الكاتب بمسطور المعائب . ولتجرين الدموع السواكب ، اذا انتثرت الكواكب . فيامن يأمن هذه المصائب . احاضرٌ انت أم غائب ؟ ياواقفا مع الهوى والطبع ، احذر من الختم والطبع . لقد علا سنك وانتهيت ، وما ارعويت ولا انتهيت . اتعبت الفَ رائض ولم تؤد الفرائض . تنام على السرر والارائك وتترك امري من ورائك . وتضم العيب الى الشيب . هذا

(١) انزف الرجل : لم يبق له شيء . سكر : ذهب عقله ، وذهبت حجته في الخصومة .

(*) الابيات ١ـ٤ في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٧٠ مصدرة بعبارة « وانشدني الابرش » ولم ينسبها .
رواية الاول : توخ من السبل ... وعد عن الحائر .
ورواية الثاني : عن النطق به .
ورواية الثالث : عند استماع .
والابيات ١ـ٣ في ادب الدنيا والدين ص ٢٥٨ من غير عزو
ورواية الاول : تحر من الطرق ... وعد عن الموضع
ورواية الثاني : عن قبيح الكلام ... عن النطق به
ورواية الثالث : عند استماع .
والابيات ١ـ٣ في بهجة المجالس ٤٠١/١ منسوبة الى محمود الوراق .
ورواية الاول : تحر من الطرق ... وعد عن .
ورواية الثاني : عن النطق به .
ورواية الثالث : عند استماع .
والثاني فقط في محاضرات الادباء ٧١/١ منسوب لمحمود الوراق وروايته : عن النطق به .
والابيات ١ـ٣ في معجم الادباء ١٦٣/١٠ منسوبة للحسين ابن محمد السهواجي . ورواية الاول : وعد عن .
ورواية الثاني : عن النطق به .
والابيات ٢ـ٤ بدون نسبة في المستطرف ٨٤/١ ورواية الثاني : عن النطق به .
والثاني والثالث في شرح المقامات للشريشي ١٠٣/٢ .
والابيات ١ـ٣ في الكشكول ١٠٢/٢ .

برايك . ياعظيم الشقاق . يا قليل الوفاق . يا سيء الاخلاق . يامرير المذاق . يا كثير التواني قد سار الرفاق . ياشديد التمادي صعب اللحاق . اخلاصك معدوم وما للنفاق نَفاق . وفهمك غائب ولو ذاق اشتاق . ومعاصيك في ازدياد والعمر في المحاق . وساعي املك مجدّ كأنه في ســـباق . فلا الوعظ يزجرك ، ولا سلب رفيقك يندرك ، ما تطاق .

الفصـل الرابـع

كم أخرج الموت نفساً من دارها ولم يدارها . وكم انزل أجساداً بجارٍ لم يجارها . وكم نقل ذاتا ذات خطايا بأوزارها . وكم اجرى عيونا كالعيـون بعد بُعد مزارها :

يا معرضا بوصـال عيـش ناعـم
سـيُصدّ عنـه طائعـاً او كارهـا
ان الحوادث تزعـج الاحـرار عـن
أوطانهم والطـير عن أوكارهـا

اين من ملك المغارب والمشارق . وعمـر النواحي وغرس الحدائق . ونال الاماني وعـاق العوائق . صاح به من دياره غراب بـين ناعـق . وطرقه في لهوه اقطع طارق . وزمجرت عليه رعود تلفٍ وصواعق . وحل به ما تشيب من بعضـه المفارق . وقلاه الحبيب الذي لم يـكن يفـارق . وهجره الرفيق والصديق الصادق . ونقـل من جوار المخلوقين الى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه . واذله القهر بعـد عز جاشـه . وابدله بخشن التراب بعد لين فراشه . مزقـه الدود في القبر كتمزيق قماشه . وبقي في ضنـك شديد من معاشه . وبعُد عنه الصديق كأن لـم يماشه . ما نفعه والله الاحتراز . ولا ردّت عنـه الركاز(١) . بل ضره من الزاد الاعواز . صار والله عبرة للمجتاز . فقطع شاسعا من السبل والاوفاز . وبقي رهينا لا يدري هلك أو فاز . وهذا حالك بعد ايام . وما انت فيه لو عقلت احلام . ودنياك لاتصلح للمقام . وما قد سمعت بعضَه تـراه غـداً عـلى التمام . ويقع لي انه ما يؤثر فيك هذا الكلام .

الفصل الخامس

اين من حصّن الحصون المشيدة واحترس . وعمر الحدائق فبالغ وغرس . ونصب لنفسه سرير العز وجلس . وأسر العدو فقتل وحبس . وبـلغ المشتهى ورأى الملتمس . وظن في نفسه البقاء لكن خاب الظن في نفس . ازعجه والله هاذم(١) اللذات واختلس . ونازله بالقهر فانزله عن ظهر الفرس . ووجّه وجهه الى دار البلى فانطمس . وتركه في ظلام ظلمة الجهل والدنس . فالعاقل من بادر ايامه فان العوافي خلَسْ(*) .

١ ــ تبني وتجمع والآثـار تنـدرس
وتأمل اللبث والارواح تُختَلَـسُ
٢ ــ ذا اللبّ فكّر فما للخلد من طمع
لابدّ ما ينتهـي أمـر وينعكـس
٣ ــ أين الملوك وابنـاء الملوك ومن
كانوا اذا الناس قاموا هيبـةً جلسوا
٤ ــ ومن سيوفهمُ في كل معـركة
تخشـى ودونهـم الحجاب والحرس
٥ ــ اضحوا بمهلكة في وسـط معركة
صرعى، وماشي الورى من فوقهم يطِس(٢)
٦ ــ وعمهم حَدَثٌ إذ ضمهم جَدَثٌ
باتوا وهم خشب في الرمس قد حبسوا
٧ ــ كأنهم قطّ ما كانوا ولا خلقـوا
ومات ذكرهمُ بين الورى ونُسـوا
٨ ــ تالله لو نظرت عينـاك ما صنعت
يد البـلى بهم والـدود يفتـرس
٩ ــ لعاينت منظراً تشجى القلوب له
وابصرت منكراً من دونـه النكس
١٠ــ من أوجه ناضرات حار ناظرهـا
في رونق الحسـن منها كيف تلتمس
١١ــ واعظم باليـات ما لهـا رمـقٌ
وليس تبقـى وهـذا وهـي تنتهـس
١٢ــ والسنُ ناطقـاتٍ زانهـا ادب
ما شانها شـانها بالآفـة الخـرس
١٣ــ ثلتهم السـنٌ للدهـر فاغـرةً
فاها فآها لهم إذ بالردى رُكِسـوا
١٤ــ عَروا من الوشي لمّا البِسوا حُللاً
من الركام على أجسـادهم وكسـوا

(١) الركاز : قطع ذهب وفضة تخرج من الارض او المعدن .

(١) هذم الشيء : قطعه بسرعة .
(*) القصيدة في المدهش لابن الجوزي ، ص ٤٩٦ ــ ٤٩٧ . والبيتان ٩ و ١٥ لاوجود لهما في المدهش وهما مما انفردت به مخطوطتنا .
ورواية الرابع في المدهش : في كل معترك .
ورواية الخامس : موتى وماشي الورى .
ورواية السادس : وضمهم جدث ... وهم جثث .
ورواية الثامن : والله .
ورواية العاشر : كيف تنطمس .
ورواية الحادي عشر : ما بها رمق .
ورواية الثالث عشر : وكسوا .
ورواية الرابع عشر : من الرغام على .

١٥ــ وصار لبس الصفايا من حلائلهم
جون الثياب وقِدْماً زانها الورس
١٦ــ حتام ياذا النهى لا ترعوي سفهاً
ودمع عينك لا يهمي وينبجس

يامن يرحل في كل لحظة من الدنيا مرحله . وكتابُه قد حوى حتى مقدار خردله . وما ينتفع بنذير والنذر متصله . وما يرعوي لنصيحٍ وكم قد عذله ودروعه منخرقة والسهام مرسله . ونور الهدى قد بدا فما رآه ولا تأمله . وهو يأمل البقاء وقد رأى مصير من أمّله . وأجله قد دنا لكن أمله قد شغله . وقد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله . كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزله . ونعم جسدك فلابد للدود أن يأكله . ياعجبا من فتور موقن بالجزاء والمسأله . ويقين بالنجاة أم غرور وبله . ويحك ياهذا من استدعاك وفتح منزله ؟ فقد أولاك لو علمت منزله . فبادر ما بقي من العمر واستدرك أوله . فبقية عمر المؤمن لا قيمة له .

الفصل السادس

عباد الله اما الليالي والأيام تهدم الآجال ؟ اما مآل المقيم في الدنيا الى الزوال ؟ اما آخر الصحة أوّل الاعتلال ؟ اما غايةُ السلامة نقصان الكمال ؟ اما بعد استقرار المنى هجوم الوبال ؟ أم انتم على الرحيل وقد دنا الانتقال . اما بانت لكم العبر وضربت لكم الامثال . اين ذو المجلس العالي السامي اين ربّ المال العزيز النامي . تساوى تحت الارض الريّان والظامي وانخرق درع البقا حين همّ الرامي .

لا توطنها فليست بمقام
واجتنبها فهي دار الانتقام
دار من ليست له داراً ولا
لبثها الاّ كاحلام منام
وانتبه من رقدة النوم فقد
آن ابّان انتباهٍ للنيام
وافق يا صاح من سكر الهوى
فهو اردى لك من سكر المدام
لا تقولنّ شبابي رائق
ويدي مبسوطة والعز نام
فلكم من حَدَثٍ في جَدَثٍ
عَمّه في حدثٍ نحت رخام
ورضيع لم يفارق ضئره
فطم الدرّةَ من قبل الفطام
وبدور لم يكامل تمّها
تمّ فيها النقص من قبل التمام
وخطيب مصقع ذي جدل
بلسانٍ فاصل مثل الحسام
جاءَه الموتُ فاضحى عاجزاً
بعد ذاك النطق عن ردّ السلام
ومحامٍ عَزّ في سلطانه
هلك المحميُ عنه والمحام
وعزيز ناعم ذلّ له
كل وعر المرتقى صعب المرام
مال بعد الحتف إذ ذلّ له
رايع الحتف بتجريع الحمام
وكساه بعد لين ملبساً
خشناً بالرغم منه في رغام
ووجوه ناضرات بدّلت
بعد نور الحسن نوراً كالقتام
وشموس طالعات أفلت
بعد ذاك النور منها بظلام
ومنيف شامخ بنيانه
ليّنُ الاعطاف مهتز القوام
صار مزويّاً لدى زاوية
في تخوم الارض بالموت الزؤام
أفّ للدنيا فما شيمتها
غير نقض العهد أو خفر الذمام
فصريح عندها مثل زنيم
وليال عندها مثل ( )(١)
فاستعدوا الزاد تنجو واعملوا
صالحاً من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف بقاؤه كلمح البروق . يا مضيعاً في الهوى واجبات الحقوق . تبارز الخالق وتستحي من المخلوق . يا مؤثرا على العدالة رذالة الفسوق . يامستوطنا مهاد الهوى وهو من سجن الردى مرموق . ابك على نفسك فانك بالبكا محقوق . عجباً لمن رأى فعل الموت بصحبه وايقن بتلفه ونحبه . وسكن الايمان بالآخرة في قلبه . ثم نام غافلاً على جنبه . ونسي جزاه على جرمه وذنبه . واعرض الى اربه من الهوى عن ربه . كأني به قد سُقي كأسَ حمام يستغيث من شربه . افرده الموت عن اهله وسربه . ونقله الى قبر ذلّ فيه بعد عجبه . فيا ذا اللبّ جز على قبره وعج به . لقد خرّقت المواعظُ المسامعَ وما اراه ينتفع السامع . ولقد بدا نور الهداية في المطالع ، لكنه قد عميَ المطالع . ولقد بانت العبر من آثار الغِيَرْ لمن خبر المصارع ، فما بالها ما انسكبت المدامع ؟ ياعجبا لقلبٍ عند ذكر الحق غير خاشع .

(١) كلمة غير مقروءة .

قد نشبت فيه مخالب المطامع . يامن شيبه قد اتى هل ما مضى من العمر راجع ؟ فانتبه لما قد بقى واعتذر وراجع . فالهول عظيم" والحساب شديد" والطريق شاسع . ان عذاب ربّك لواقع . ماله من دافع .

الفصل السابع

عباد الله ما هذه الغفلة والامر واضح ؟ وما هذا الصمم وقد اُسْمعتِ النصائح ؟ وما هذا الاعراض عن العذول الناصح ؟ وما هذا التواني وقد صاح الصائح ؟ اين المتمرد في اللهو والصبا ؟ اصبح في لحده حزينا وَصِبا . تسفى على قبره الجنوب الصَبا . كانكم بالموت اضحى لكم مستلبا . وهو اليقين فلا تسمع كذبا .

ولكم ابدى لواعظه
لك محتوما امّا وابا(١)
وراى ذا اللبّ نصيحته
فعصى قولي جهلاً وابى
ما كان باسرع من نظر
كالبرق بدا حتى ذهبا
فافق يا صاح وكن رجلا
حذراً من ان تلقى غضبا
او تلقى النار وقد زفرت
لهبا فتصير لها حطبا
فتمادى العمر لترتحلن
وغراب البين به نعبا
وصروف الدهر فقد وعظت
واراك تقلبها عجبا
وكساك جديد تقلبها
بسوادك اثوابا قشبا
ودهاك هواك فما ادراك
بان رحيلك قد قربا
فتظل وقبرك منعمر
وتبيت وقصرك قد خربا
وتحلّ برمسك منفردا
وبقصر ضريحك محتجبا
وتعاين ما قدمت غداً
بيد الملكين وما كتبا
فتنكس راسك من خجل
وتبوء باثمك محتقبا
فاسمع واطع وانِبْ فلقد
ادّيت بنصحك ما وجبا

(١) في المدهش ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ قصيدة لابن الجوزي من نفس البحر والقافية والغرض لعل هذه الابيات تتمة لها.

يامضيع الزمان فيما يوجب نقص الايمان . يامعرضا عن الارباح متعرضا للخسران . متى تنتبه من رقدتك ايها الوسنان ؟ متى تفيق لنفسك اما حقّ اما آن ؟ إلامَ ترفض قول الناصح ، وقد اتاك بامرٍ بيّنٍ واضح ؟ اترضى لنفسك بالشين والقبائح ؟ لقد استوى عندك الشاتم والمادح . فكاني بك قد نقلت الى بطون الضرائح . وبقيت الى الحشر تحت تلك الصفائح . وخُتم لك الكتاب على آفات وفضائح . كيف تظن مباني آمالك مشيده ، وانت تعلم انها مكيده ؟ وكيف تترك معاملة المولى وقد علمت انّها مفيده ؟ وكيف تعرض عن زادك وقد تحققت ان الطريق بعيده ؟ يا معرضا عنّا الى متى هذا الجفا والاعراض ؟ يامن زمانه ينقضي في طلاب الهوى والاغراض . يامن بقى ليفنى وانما نُصِبتْ لاصابة الاغراض . يا غافلا عن الممات والعمر لاشك في انقراض . يامغترا بامله وايدي المنايا في اجله تقرضه بمقراض . يامسروراً بصحته وبنيته كل يوم في انتقاض . يامن يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الابعاض . ياغافلاً عن الزاد وقد اندره بعد السواد البياض . ياقليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض . يامن يدعى الى المقام الاعلى ويابى الاّ الانخفاض . يامن يساق الى موارد التلف وقد اترعت له الحياض . يا ضاحكا وعيون الفنا تلحظه لحظ اسد الغياض . عجبا لمن هذه الآفات بين يديه كيف تقدر عينه على الاغماض .

الفصل الثامن

ايها العبد لاشيء اعزّ من عمرك وانت تضيعه . ولا عدو لك كالشيطان وانت تطيعه . ولا اضرّ من موافقة نفسك وانت تصافيها . ولا بضاعة كساعات السلامة وانت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الاطايب . فما يبقى بعد شيب الذوائب . ياحاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب مع الشيب من اعظم المصائب . مضى زمان الصبى وحبّ الحبائب . كفاك زجراً ووعظا شيب الذوائب . افق لنفسك واستمع قول المعاتب . لا تغترّ بالاماني فربّ امل خائب . ياغافلاً فاته افضل المناقب . اين البكاء من خوف العظيم الطالب ؟ ليت الزمان الذي ضاع في الملاعب ، نظرت فيه الى آخر العواقب . كم في القيامة من ادمع سواكب . على ذنوب حواها كتاب كاتب ؟ من لك اذا قمت في موقف المحاسب ، وقيل لك ما صنعت في كل واجب ؟ ترجو النجاة وتلهو ياشر لاعب . الموت صعب شديد مرّ المشارب . فانظر لنفسك واذكر قدوم الغائب . يا املاً ان يبقى آمنا من المصائب .

بنيت بيتا ولكن كنسج العناكب . اين الذين علوا متون الركائب ، واصبحوا خير كهف من كل نائب ؟ دبّ الهلاك اليهم دبّ العقارب . ضاقت بهم المنايا كلّ المذاهب وانت بعد قليل حلف المصائب . فانظر وفكّر ودبّر قبل العجائب . يامن عمره كلما زاد انتقص . يامن يأمن ملك الموت وكم قد اقتنص. يا مائلاً الى الدنيا هلاّ سلمت من النغص ؟ يامفرطا في عمره هلاّ بادرت الفرص ؟ يامن اذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له نكص . من لك يوم الحشر عند نشر القصص ؟ عجبا لعين امست بالليل هاجعة . ونسيت اهوال يوم الواقعة . والاذن تقرعها المواعظ فتضحى لها سامعه . تم تعود الزواجر عندها ضائعه . ولنفوسٍ غدت في كرم الكريم طامعه . وليست له في حالٍ من الاحوال طائعه . ولاقدامٍ سعت بالهوى في طرق شاسعه ، بعد ان وضحت لها سبل واسعه . ولهممٍ اسرعت في مشارع اللهو شارعه ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعه . ولقلوبٍ تضمر التوبة اذا قرعت بزواجر رايعه . ثم يحلّ العزم بفعل ما لا يحل مراراً متتابعه ، ثالثة بعد ثانية وخامسة بعد رابعه .

الفصل التاسع

عباد الله تدبّروا العواقب . واحذروا فوت المناقب . واخشوا عقوبة المعاقب . وانتظروا جذب السالب . فانه والله طالب غالب . اين الذين قعدوا في تحصيل المنى وقاموا ؟ وعملوا في طلب الهوى وداموا ؟ وداروا على توطيد دار الرحيل وحاموا ؟ ما اقلّ ما لبثوا وما ادنى ما اقاموا . لقد وبخوا نفوسهم في قبورهم على امورهم ولاموا .

اما والله لو علم الانامُ
لما خلقوا لما غفلوا ناموا
لقد خلقوا لما لو ابصرته
عيون عقولهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر
وتوبيخ واهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال
فصلّوا من مهابته وصاموا
ونحن اذا امرنا او نهينا
كاهل الكهف ايقاظ نيام

يامن باقذار الخطايا قد تلطخ . وبآفات البلايا قد تضمّخ . يامن لايسمع كلام من لام ووبخ. يعقد عقد التوبة صباحاً فما يمسي حتى يفسخ . يا مطلقا لسانه والملك يحصي وينسخ . يامن الهوى في صدره قد عشش وفرّخ . كم ينادي بك في كل يوم ويصرخ كم اباد الموت ملوكا كالجبال الشمّخ . كم ازعج قواعد عزٍّ كانت في الكبر ترسخ فاسكنهم ظلمة اللحود ومن ورائهم برزخ . يامن قلبه من ثوبه بالذنوب اوسخ ؟ يا مبارزاً بالعظائم اتأمن ان يخسف بك او تمسخ ؟ يامن لازم العيب بعد استكمال الشيب ففعله يؤرّخ . كانك بالموت قد فاجأك وهجم ، والحقك بمن سبقك من الامم . ونقلك الى بيت الوحدة والظلم . ورحلك الى عساكر الموتى فخيمت بين الخيم . مفرّقا من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم . ولم تدفعه كثرة الاموال ولا نخوة الخدم . وندمتَ على التفريط في غير ابّان الندم . فيا عجبا لعين تنام وطالبها عنها لم ينم . متى تحذر ممّن اوعد وهدّد ؟ متى تضطرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ؟ الى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدّد ؟ الى متى لا ينهاك زجر الواعظ وإن شدّد ؟ الى متى بين القصور والتواني تتردد ؟ متى تحذر يوما فيه الجلود تشهد ؟ متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد ؟ متى تهب بك في الدجى ريحُ الخوف والرجا ، فتكون في الليل اذا سجى كفصن يتأود ؟ اين الذين تأملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى فركعوا وسجدوا ؟ وقدموا الى بابه في الاسحار ووفدوا ؟ وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ؟ لقد ساروا وتخلفت ففاتك ماوجدوا . وبقيت في اعقابهم فان لم تلحق بعدوا .

يا ايها الراقد كم ترقد
قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته
حظاً اذا ما هجع الرقّد
من نام حتى ينقضي ليله
لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الالباب اهل التقى
فنظرة العرض لها موعد

الفصل العاشر

يا كثير الخلاف عظيم الشقاق . ياسيء الآداب يا قبيح الاخلاق . يا قليل الصواب عديم الوفاق . يامن سيبكي كثيرا اذا انتبه وافاق . ياهذا اذا كنت بأردية التقصير ترتدي ، وبأوامر شيطانك الغوي تقتدي ، فبماذا لنفسك من الاهوال تفتدي ، حتى تظهر العجائب ويكشف عن ساق ؟ اغرّك في الدنيا عيشك الصافي ، فنسيت فراق حبيبك المصافي ؟ فأمنت عقابي يوم عدلي وانصافي ، اذا عدمتَ

السلامة وقلّ الاطلاق الى متى تلهو وانت في دار البلا وتفرح ، ومآلك الى التلاشي والبلى ؟ كانك لا تحاسب كلا والله بلى ، لتسئلنّ عما فعلت في الغدوّ والاشراق . اما اكثر العمر في التواني قد مضى ؟ اما معظم الزمان في التمادي قد انقضى ؟ اما اعمالك كلها لا تصلح للرضى ؟ فخذ لنفسك فاليوم الرهان وغداً السباق . ولقد نبّهك القرآن بارشاده . ولقد حذّرك يوم معاده . يلقى الروح من امره على من يشاء من عباد لينذر يوم التلاق . اين من عمّر القصور وجمع المال ، اما خلا في لحده وحده بالاعمال ؟ كم اراك مولاك عبرةً وقال سنريهم آياتنا في الآفاق ؟ اين صديقك المؤانس ؟ اين رفيقك المجالس ؟ امتدت والله اليهم كفّ المخالس ، فانزلتهم تحت الاطباق . فكأني بك قد رحلتَ كما رحلوا . ونزلت وشيكا حيث نزلوا . وحُملت الى القبور كما حملوا . الى ربك يومئذٍ المساق . فمن لك اذا احتوشك الندم عند الفوت ، والمّ بك الألم وسكن الصوت ، واقبل اليك لانتزاع روحك ملك الموت ، وقيل من راق . فانزلت الى منزل ليس بمسكون . وعُوّضت بعد الحركات بالسكون . فيا أسفي لك كيف تكون ان غضب عليك الملك الخلاّق ؟ وفرق مالك وسكنت الدار وانفردت بالآثام والاوزار . ورفضك المحب فما اتى ولا زار . ونسيك المشوق بعد الاشتياق . فما ينفعك نوح نائحة ولا بكاء باكيه . ولا شاك الم فراقك ولا شاكيه . فان كانت لك اعمال خير زاكيه . والاّ وقعت في املاق . فبادر عمرا ينقضي بالمساء والصباح . وعامل مولاك طالبا جزيل الارباح . ولا تبخل بما يفنى فقد حثك السماح . فيما صرّح به النص وباح . ما عندكم ينفد وما عند الله باق .

الفصل الحادي عشر

ايها المشغول بالشهوات الفانيات ، متى تستعد للممّات الملمّات . متى تجتهد في سباق القوافل الماضيات . اتطمع وانت رهين الوساد في لحاق السادات ، هيهات هيهات .

١ ـ يا مدمن اللذات يأمل لبثها
اذكر تهجّم هادم اللذاتِ

٢ ـ احذر مكائده فهن كوامن
في كرّك الانفاس واللحظات

٣ ـ تمضي حلاوةُ ما جنيت وبعد ذا
تبقى عليك مرارةُ التبعات

٤ ـ يا حسرة العاصين يوم معادهم
ولو انهم سبقوا الى الجنات

٥ ـ لو لم يكن الاّ الحياء من الذي
ستر الذنوب لاكثروا الحسرات(١)

يامن صحيفته بالذنوب قد حفّت ، وموازينه لكثرة العيوب قد خفّت ، أما رايت اكفّا عن مطالبها كُفّت ؟ أما شاهدت عرائس اجساد الى الالحاد قد زُفّت ؟ اما عاينت ابدان المترفين قد ادرجت ولُفّت ؟ اما علمتَ انّ سطور الاجسام في الارجام صُفّت ؟ متى تنتبه لخلاص نفسك ايها الناعس ؟ متى تعتبر بربع غيرك الخالي الدارس ؟ اين الجبابرة والاكاسرة الشجعان الفوارس ؟ اين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ؟ اين الحواري والظباء الكوانس ؟ اين من اعتاد سَعَة القصور حُبس من القبور في اضيق المحابس ؟ اين الرافل في اثوابه عُرّى في ترابه عن الملابس ؟ اين الغافل في امله عن اجله سلبته كفّ المخالس ؟ . اين جامع المال سُلب المحروس وقتل الحارس ؟ قد آن لمن يعرف مكر الدنيا ان يهجرها . ولمن علم جهل نفسه أن يزجرها . ولمن تحقق بقلبه نُقلَتَه ان يذكرها . ولمن غمر بالنعم أن يشكرها . ومن دعي الى دار السلام ان يقطع مفاوز الدنيا ليحضُرَها . لله درّ اقوام تركوا الدنيا قبل تركها . وبكوا في احيان انبساطها وضحكها . وخرجوا باليقين من ظلام شكها . واماتوا نفوسهم عن هواها الى نسكها . التقطوا ايام السلامة وتغنّموا . وتلذذوا بكلام مولاهم واستسلموا لاوامره وسلّموا واخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا . هجروا في طاعته لذيذ الكرى . وهربوا اليه من جميع الورى . وآثروه إيثار من علم ودرى . ورضوا فلم يعترضوا فيما جرى . وباعوه انفسهم فيانعم البيع والشرا . سلموا اليه لما اسلموا الروح وخدموه والصدر بخدمته مشروح وآتوا بابه فاذا الباب مفتوح . وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح . وقاموا الاسحار قيام اسير يبكي وينوح . وصبروا على لباس الصوف ومقطعات المسوح . وراضوا انفسهم بالصبر فاذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم وانوار الصدق تلوح . قد عبقوا بنشر مناجاتهم فراحت رياح ارتياحهم تفوح .

وتفوح من طيب الثناء روائحٌ
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الاّ انها
وحشيّة بسواهمُ لا تعبق

---

(١) الابيات ١ـ٥ في المدهش ٢٠٧ من غير عزو .
رواية الاول : يامدمن اللذات يأمل لبثها .
ورواية الثالث : تمضي حلاوة ما احتقبت وبعده .
ورواية الرابع : سبقوا الى الجنات .

الفصل الثاني عشر

ايها العبد' تفكّر في مصارع الذين سبقوا . وتدبّر عواقبهم اين انطلقوا . واعلم انهم قد تقسموا وافترقوا . اما اهل الخير فَسَعِدوا ، اما اهل الشر فشقوا . فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا .

١ ــ والمرء مثل' هلالٍ عند طلعتــه
يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتّســق'(١)

٢ ــ يزداد حتى اذا ما تم اعقبــه
كرّ الجديدين نقصاً ثم ينمحــق

٣ ــ كان الشباب' رداءً قد بَهَجْتَ'به
فقد تطاير منــه للبلى خِرَق'

٤ ــ [وبات منشمراً يحدو المشيب به
كالليل ينهض في اعجــازه الفــلق]

٥ ــ عجبت' والدهر لا تفنى عجائبــه
للراكنين الى الدنيــا وقــد صدقــوا

٦ ــ وطال ما نفصوا بالفجع ضاحية
وطال بالفجع والتنغيص ما طرقــوا

٧ ــ دار تفــر بهــا الآمــال' مهلكةً
وذو التجارب فيهــا خائف فَــرِق'

٨ ــ يالرجال لمخــــدوع بباطلهــا
بعد البيان ومغــرور بهــــا يثــق

٩ اقول والنفس تدعوني لباطلهــا
: أين الملوك ملوك الناس والســوق

١٠ــ اين الذين الى لذاتها ركنــوا
قد كان فيهــم لهــم عيش ومرتفــق'

١١ــ امست مساكنهم قفراً معطّلةً
كانهم لم يكونــوا قبلهــا خُلقــوا

١٢ــ يا اهل لذّات دارٍ لا بقــاء لهــا
ان اغتراراً بظــلٍّ زائــلٍ حُمُــق'

عباد الله ايامكم قلائل . وآثامكم غوائل . ومواعظكم قوابل . فليعتبر الاواخر بالاوائــل . وليتيقظ الغافل قبل سير القوافل . يامن يوقن انه لاشك راحل . وما له زاد ولا رواحل . يامن لجّ في لُجّة الهوى متى ترتقي الى الساحل ؟ هــلاّ تنبهت من رقادٍ شامل ، وحضرت المواعظ بقلب قابل ؟ وقمت في الدجى قيام عاقل ؟ وكتبت بالدموع سطور الرسائل ؟ تحفّ بها زفرات الندم كالوسائل . ويعينها في سفينة دمعٍ سائل . لعلّها ترسي من القبول على ساحل . وا أسفا لمغرور غفول جاهل ، قد اثقل بعد الكهولة الكاهل . وقد ضيّع البضاعة وبذّر الحاصل . وركن الى ركن لو رآه مائل . يبني الحصون ويشيد المعاقل . وهو عن ذكر قبــره متثاقل . ويدعي بعــد هذا انــه عاقــل . تاللــه لقد سبقه الابطال الى اعلى المنازل . وهو يامل في بطالته فوز المعامل . هيهات ما علق بطّال" بطائل . متى تنظر في عواقب الامور ؟ متى تذكر الترحــال عن هــذه القصــور ؟ متــى تأنــف مــن شــين التمادي والقصور ؟ الى متى انت في جمع ما يفنى تدور ؟ أين من كان قبلك في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره ان لن يحور ؟ رحل والله الــكل فاجتمعوا في القبور . واستوطنوا خشن المهاد الى نفخ الصور . فاذا قاموا لفصل القضاء والسماء' تمور . وكُشف الحساب المخفيّ وهتك الســؤال المستور . وظهرت عجائب' الافعال ، وحصّل مافي الصدور . ونُصب الصراط فكم من قدم عثــور . ووضعت عليه كلاليب فيا هول العبور . واصبحت وجوه المتقين تُشرق اشراق البدور . وآب اهــل اليقين بتجارات لا تبور . ودُعي اهل الفجــور بالأسى والثبور . وجيء بالنار تقاد بالازمّة وهي تفور . « اذا القوا فيها سمعوا لها شــهيقاً وهي تفور »(٢) .

الفصل الثالث عشر

عباد الله ما اشرق الاوقات وقد اضعتموها . وما اجهل النفوس وقــد اطعتموهــا . ومــا ارقّ السؤال عن الاموال فانظروا كيف جمعتموها . وما احفظ الصحف للاعمال فتدبروا ما اودعتموهــا . قبل الرحيل عن قليل . والمناقشة على النقــير والفتيل(٣) . قبل ان تنزلوا بطون اللحود . وتباشروا خشن التراب بلين الخدود . وتصيروا طعاما للدود . في بيت بابه مسدود ولو قيل للعاصي ما تشــاء ؟ لقال : اعود ولا أعود .

١ ــ أينَ أهلُ الدّيارِ من قومِ نُوحٍ
ثُمَّ عــادٍ من بعــدِهم' وثمــود'(٤)

---

(١) الابيات ١ــ٤ لسليمان بن يزيد العدوي في الحماســة البصرية ٢/٤٢٣ . ورواية الاول : والمرء مثل هلال حين تبصره .
والابيات ١ــ١٢ في المدهش من غير عزو ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ . والرابع لا وجود له في نصنا واكملناه من المدهش .
ورواية الثامن : لمخدوع بزخرفها .

(٢) الآية الكريمة ٧ ك الملك ٦٧ .
(٣) الفتيل : السحاة في شق النواة . وقيل : هو ما يفتل بين الاصبعين من الوسخ ، والنقير : النكتة في ظهــر النواة . قال ابو منصور : وهذه الاشياء تضرب كلها امثالا للشيء التافه الحقير القليل .
(٤) الابيات ١ــ٤ في عيون الاخبار ٢/٣١٧ منسوبة لعدي بن زيــد .
ورواية الثاني : بينما هم على الاسرة والانماط ...
ورواية الثالث : واطباء ..
والابيات ١ــ٤ في المدهش ٥٦٦ من غير عزو .

٢ ــ بينما القوم في النعارق والديباج
افْضَتْ الى التراب الخدود
٣ ــ والاطبّاءُ بعدهُمْ لحقُوهُمْ
ضلّ عنهم سَعُوطُهُمْ واللّدود
٤ ــ وصحيحٍ اضحى يعودُ مريضاً
وَهْوَ ادْنى للموتِ ممّنْ يَعُود

يامبارزاً بالخطايا ما اجهلك . الى متى تغتر بحلم الذي امهلك . كأنك بالموت قد حل بك فاذهلك . ودنا الرحيل فافزعك الملك . واسرك البلى بعد القوى واعتقلك . وقدمت على وزر عظيم اثقلك فيا مطمئنا الى الفاني ما اكثر زللك . ويا معرضا عن النصح كأنّ النصح ما قيل لك . اين حبيبك الذي كان وانتقل ؟ اما غمسه التلف في بحره ومقل(١) ؟ اين الكثير المال الطويل الامل ؟ اما خلا وحده في لحده بالعمل ؟ اين من جرّ ذيل الخيلاء غافلا ورفل ؟ اما سافر عنّا والى الآن ما قفل ؟ اين من تنعم في قصره وفي قبره نزل ؟ فكأنه في الدنيا ما كان وفي اللحد لم يزل . اين من شوّق في اللذات واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وافل . اين الجبابرة ؟ اين الاكاسرة العتاة الاول ؟ ملّك ملكهم سواهم والدنيا دول . خلا والله منهم النادي الرحيب ، ولم ينفعهم كثرة البكاء والنحيب . وعاينوا من هول المطّلع كل عجيب ، وسئل عاصيهم فلم يعلم كيف يجيب . وفارقوا كل محبّ بعيد وقريب . وانفردوا باعمال احصاها العتيد والرقيب . يامسكران الهوى متى تصحو ؟ ياكثير الذنوب متى تمحو ؟ الى كمْ تهفو ويعفو ؟ وتتكدر ونعمنا تصفو ؟ اما ادرك بياضُ الشمط ؟ اما يبكيك قبح ما منك فرط ؟ الى متى تجري في الهوى على اقبح نمط ؟ الى متى تغتر بامل قد انبسط ؟ الى متى تضيّع وقتا مثله يلتقط ؟ لقد احاطت بك المنون وها انت في الوسط . واستلّ التلف سيفه عليك واخترط . يا متكبراً في نفسه كم عالٍ سقط . يا ظالماً في فعله تعرضت للسخط . يا مُعوّداً لسانه سوء القول والغلط . يا كثير الخطايا ياعظيم اللغط . يامن يعصي وينسى والملك قد ضبط . يا منفقا نعم المولى على العصيان هذا عين الشطط . يا معرضا عن الباب ما رايناه قط . امح باعترافك قبح اقترافك وقد انكشط . وقم في الدجى على باب الرجا . ترى الإنعام من مولاك قد هبط . فاعتذر ممّا جنيت فما قمت بما اشترط . فلقد نصحتك بما اسمعتك ، وقد اقمتك على النقط .

الفصل الرابع عشر

يامن اكثر عمره قد مضى . ونفسه مع اللحظات تقتضى وقد انذره الموت بسلب الرفيق مُعرضا . كيف تحترس والدرع منخرق والسيف منتضى .

سهم المنايا ابداً صائب
يدعو اليه الناس مستعرضا
بينا الفتى في عيشه ناعمٌ
تغرّه الايام حتى انقضى
وكل يوم مرّ من عمره
يحدوه للترحال مستنهضا
والنفس دين الموت عند الورى
ودينه لابدّ ان يقتضى
يا عجبا من عالم آمنٍ
من غدره او سيفه المنتضى
اين الذين استبقوا للنهى
واغتبقوا بالمشرب المرتضى
طوتهم الاجداث في ضيقها
وعاد من يهواهم مبغضا

يامن في حلل عجبه بنفسه يرفل ويميس . يامن هو في اسر شهواته اذل اسير وخسيس . يامن يؤثر الرذائل على انفس نفيس . يا طويل الأمل ماذا صنع الخليل والجليس . ياواثقا مع التواني قد سارت العيس . من لك اذا فاجاك على المعاصي مذل الرئيس ؟ واحتوشك اعوان ملك الموت وحمي الوطيس ؟ ونقلت الى لحد لا يرى فيه انيس . واصبحت بعد الغنى من الفقراء المفاليس . يا غافلا والاجل قد دنا . افق من سكرتك قبل فوت

ورواية الثالث : واطباء .
والابيات ١ـ٤ في شرح المقامات ٨٢/١ منسوبة لعدي بن زيد .
ورواية الثاني : بينما هم على الاسرة والانماط ، ... الجلود .
والابيات ١ و ٢ و ٤ في النجوم الزاهرة ٢٤٩/١ منسوبة لعدي بن زيد .
ورواية الثاني : بينما هم على الاسرة والانماط .
ورواية الرابع : هو ادنى .
والبيت الرابع في الموشح ص ٣٤٨ .
والابيات في ديوان عدي بن زيد العبادي ـ تحقيق محمد جبار المعيبد ص ١٢٢ .
(١) مقل الشيء في الشيء يمقله مقلا : غمسه .

المنى . وانتظر بعد حلاوة الراحة مرارة العنا . واصغ الى تدبر الاعتبار فاياك عنا . وتفكر فيمن حلّ الذي بنى بعدما بنى . واعلم بانك في دار الرحيل وفي منزل الفنا .

هذه الدار بناها قبلنا
عصبة بادوا وخلّوها لنا
ثم تفنينا وتبقى بعدنا
ليست الدنيا لحيّ وطنا
وكذا نحن على آثارهم
نترك الدنيا لقوم غيرنا

اين من تجبر لمّا ملك ؟ وقهر العباد فعتى وفتك ؟ وسعى في طريق الفساد وسلك ؟ واخذ المال فاراق الدم وسفك ؟ نزل به والله موت الملك. وحلّ به طارق التلف فهلك . وخلّف ما صرّه لغيره وترك . ودار عليه بعد ان دار عليه الفلك . فقتل نفسه بسيف البطالة فعلى من الدّرَك . وما فعل به عبرةً لغيرك ولك . يا مدمنا على الخطايا متى تتوب ؟ يا غائبا في سفر المعاصي متى تؤوب ؟ يا مطمئنا الى دار الازعاج والخطوب ، من لك اذا جاءك ملك الموت بوجه قطوب ؟ متى تأنف من شين الخطايا ورين الحوب(١) ؟ الى متى تؤثر الرذائل وترضى الجعبوب(٢) ؟ يامن قوله محصيّ وفعله مكتوب . يا مغتراً بجهله وهذا العمر يذوب . يا مقبلا على المنى دع قول الكذوب . يا طويل الأمل ربّ صباح لم تدرك فيه الغروب . يا قليل الاعتداد وقد قامت صفوف الحروب .

الا لله انت متى تتوب
وقد خضبت ذوائبك المشيب
كانك لست تعلم ايّ حثّ
يحث بك الشروق ولا الغروب
تحب الدهر ان تدعى حكيما
وانت لكل ما تهوى ركوب
وتضحك دائبا ظهراً لبطن
وتذكر ما عملت ولا تتوب
وما تعمى العيون عن الخطايا
ولكن انما تعمى القلوب

(١) الحوب : الاثم .
(٢) الجعبوب : القصير الدميم .

الفصل الخامس عشر

ايها العبد تفكّر في اخوانك كيف ارتحلوا . وتذكّر ديارهم اين نزلوا . واسئل منازلهم عنهم ماذا فعلوا . وانتبه من رقدتك قبل ان تصل الى ما وصلوا .

يا ايّهذا الذي قد غرّه الأمل
ودون ما يأمل الانسان والاجل(١)
الا ترى انما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلّوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول
يظل يفزع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض
يظلّ فيه بباب الدهر ينتقل
تديره ما ادارته دوائره
منها المصيب ومنها المخطىء الزلل
والنفس هاربة والموت يطلبها
وكل عثرة رجل عندها جلل

يامن اصبح شيبه بعد ليل شبابه قد تبلج . ونذيره قد حام حول حماه وعرّج . كانك بالموت قد أتى سريعا وازعج . ونقلك عن دار امنت مكرها واخرج . ونقلك على خشونة النعش بعد لين الهودج . وافصح باهلاكك فطال ما مجمج . وانظرك الى قليل من الزاد واحرج . فيا لاهيا في ديار البلى اي فعل من فعلك اسمج ؟ ويا عالما بنظر الناقد وبضاعته كلّها بهرج . ويا غافلا عن رحيله سلب الاقران انموذج . كم سمعت من مكر دنياك خبراً بعد خبر ؟ وانت تؤثرها يامن لمكرها قد خبر . وقد سار ركبها لميل وذكر الرحيل على قلبك ماخطر . واستانست بالفاني بها والمستانس بالفاني على خطر . فانظر بين يديك فقد اظهرت لديك العبر . وما هي الاّ قنطرة فكن ممنّ عبر . لقد

(١) الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ في المدهش ١٩٣-١٩٤ من غير عزو .
ورواية الاول : التنغيص والاجل .
ورواية الرابع : تظل تفزع .. عيش ولا جذل .
ورواية الخامس : تظل فيه سهام الدهر تنتضل .
والبيت السادس انفردت به مخطوطتنا ولا وجود له في المدهش .
ورواية السابع : والموت يتبعها .

انذرك ما خفي منها وما ظهر . واراك الموت عقبى من علا واُخرى من قهر . واخبرك بالرحيل عن قليل بياض الشعر . وفعلك فعلُ من ما فهم المقصود ولا شعر . وانت تشيّع الموتى وترجع الى الاثر . وقد علمت ان المنون مورد البشر . هيهات ان الرحيل قد ازف والموتُ قد زار . فاجتهد قبل ان تطلب الضرار في زمان الفراغ . وزر ديار الاستقامة فما يصلح للنا[س] من زاغ . وابغ الهدى فباغي الهدى غير عاد ولا باغ . وتفكّر فيمن سار الى البلى ، فلو تفكرت ماطاب طعامك ولا ساغ . فقد صدقناك ان يكذب لاغ . وحققنا الابلاغ . وليس علينا وجود القبول فانه « ما على الرسول الا البلاغ »(١) .

الفصل السادس عشر

ايها المقبل على الدنيا خاطبا جامعا . كيف تغتر بامر قد اضحى لمن قبلك خادعا ؟ اما رايت قصارى من بنى قصراً واسعا ؟ اما عاينته إذ سلك مسلكا شاسعا ؟ متى يصبح الوعظ بقلبك القاسي نافعا ؟ .

الى متى ترفل في حلّة
تنتظر الموت لها خالعا
ولم يكن فيما مضى عبرةٌ
تكون عن امر الهوى رادعا
كم شارع غصّ بأربابه
امسى الردى في قلعهم شارعا
آها لهم من ظلمات الثرى
من بعد نور قد زهى ساطعا
ما حصّلوا زاداً ولكن سروا
قد سلكوا منتهجا شاسعا
يا عجبا إذ اخربوا(٢) عامراً
وصيّروا ما حفظوا ضائعا
وعاد من كان لهم واصلاً
إذ سلكوا عفر الثرى قاطعا
ولم يكن ما جمعوا مرة
من امرهم في تربهم نافعا
بينا الفتى بالفخر مستكبراً
حتى علا في ذلّه خاشعا
وكم بنوا حصنا مشيد العلا
فلم يكن من بؤسهم مانعا
وكم جنود لهم استكملوا
لم يك يوماً باسهم دافعا
جرت صروف رغم تقديره
لم يكن الحزم له نافعا
ولو رايت اليوم اضدادهم
ذا شبع قد كان او جائعا
لم تر فيما بين اشباحهم
فرقا واضحى ملكهم خاضعا

يامن يبارز مولاه بما يكره . ويخالفه في امره آمنا مكره . وينعم عليه فينسى شكره . ورحيله قد دنا وماله فيه فكره . يامن قبائحه ترفع عشاة وبكره . يامن زاده قليل ما اطول هذه السفره . والنقلة قد دنت والمصير الحفره . متى تعمل في قلبك المواعظ ؟ متى تقبل قول الناصح الواعظ ؟ متى تحذر الرقيب الحافظ ؟ متى تنظر بفكرك مآل امرك وتلاحظ ؟ يامن بنفسه في الهوى يلعب . يامغتراً باماله والاجل اقرب . كم سبقك من نذير وعاينت المذهب . وانت على التفريط لا ترجو ولا ترهب . انما هو عمر قد وهى وها هو ينهب . والموت قد اتى وما بعد الموت اصعب . والحشر شديد والحساب اتعب . والسوق حثيث ولا يدرى الى اين يذهب . من للمطرود اذا حُصر بالافلاس ؟ ومن للمفرط اذا شُهر بين الناس ؟ ومن للعاجز اذا رجا الرحمة فعاد باليأس ؟ ومن انيس المقصّر في ظلمات الارماس ؟ ومن للمذنب اذا جلّ الخطب اشتدّ المراس ؟ ومن للمسئول اذا جرت الدموع ونكّس الراس ؟ ومتى يستيقظ الغافل هذا من النعاس ؟ لابدّ والله من الانتقال عن هذه الدار . وظهور المكنونات في خفايا الاسرار . واطراق الروس وذلّ الانكسار . وضيق الحبوس وطول الانتظار . واشتداد التحيّر وعدم القرار . وتكاثف القلق وفقدان القرار . ودخول الجنّة او لا فالنار .

الفصل السابع عشر

يامن يحث الى القبر ايّ إحثاث . تنبه من رقادك فانك في اضغاث . وتيقن انك في الدنيا قليل اللباث . وتفكر كيف تكون في الثرى بعد ثلاث

(١) رقم الآية الكريمة ١٨ لـ العنكبوت ٢٩ ، وتتمتها : المبين.
(٢) اخرب المكان : فرغ .

واحذر ان تستغيث باللطف والرفق فلا تغاث .
تركك والله الاهل واشتغلوا بالميراث . فان ذكروك
بعد ايام فبقلّة اكتراث . خلوتَ بعد جمع المال
في اطمار رثاث . ولم يصحبك غير القطن بعد كثرة
الاثاث . وعادت اعضاؤك القويمة بناؤها في انتكاث .
فيامطمئنا الى الدنيا قد انذرك الالتباث . ويا ناسياً
شأن الفناء ، كم شان شانا وعاث . فاشتغل بما
ينفعك في القبر عن جمع التراث . وانتقل
الى الاعمال الصالحات عن الاعمال الخبـاث .
والتفت عن عمارة ما يفنى الى مراعاة الاجداث .
فليدورنّ ما في الموت على الذكور والاناث .

يا آمن الاقدار بادر صَرْفها
واعلم بانّ الطالبين حثاثُ
خذ من ترائك ما استطعت فانما
شركاؤك الايام والورّاث
المال مال المرء ما بلغت به
الشهوات أو دفعت به الاحداث
لم يقض حقّ المال الا معشرٌ
وجدوا الزمان يعاث فيه فعاثوا
مالي الى الدنيا الغرورة حاجة
فليخز ساحر كيدها النفّاث
ما كان منه فاضلاً عن قوته
فليوقنن بانه ميراث
طلقتها ثلثا لاجسم دائها
وطلاق من عزم الطلاق ثلاث
بكناتها مجذورة وعهودها
منقوضة وحبالها انكاث
أمّ المصائب لا تزال تروعنا
منها ذكور نوائب وانـاث
اني لاعجب من اناس أمسكوا
بحبائل الدنيا وهنّ رثاث
كنزوا الكنوز واعقلوا شهواتهم
والارض تشبع والبطون غراث

كم فَرِحٍ بشهر وإهلاله ، متهلل لرؤية
هلاله ، فاختطفه الموت في خلاله ؟ كم مائل الى جمع
ماله ، تركه تركةً ومضى بأثقاله ؟ هل رحم الموتُ
مريضا لضعف أوصاله ؟ هل ترك كاسباً لاجل
اطفاله ؟ هل امهل ذا عيال لاجل عياله ؟ هل ابقى
احداً على ممرّ الزمان وطواله ؟ كم راع ملكا قسراً
وما راعى عزّ ابطاله ؟ وكم اشرف على شريف ولم
ينظر في سعة جلاله ؟ كم خرّق درعاً بوقع نباله ،
وكم ايتم طفلاً صغيراً ولم يباله ؟ كم سدّ نفَساً في
نعاماه وشماله ؟ كم بغت عليلاً بالبلى بعد التراقي
الى إبلاله ، فرقّى روحه الى التراقي ولم ينظر في
حاله ؟ فلا كبيراً ترك لقصره ورجاله . ولا حقيراً في
ذلّه وسؤاله . فيا مشغولاً عن ذكره بلهوه
واشتغاله . توقع قدومه في غدوة الزمان او آصاله ،
يامن يوعظ وكأنه ما يسمع . يامشغولا بما يفنى
يحوي ويجمع . يامن شاب وما تاب في أيّ شيء
تطمع ؟ يا غافلاً والموت على لقائه قد ازمع . ستعلم
يوم عرض الكتاب وسوء الحساب عين من تدمع .
اتراك يوم الرحيل ، اذا ضاق رحب السبيل ماذا
تصنع ؟ اتُراك بماذا تتقي يامن قد سقي ذاك
المصرع ؟ عجباً لك كيف آثرت ما يفنى وانت تعلم
انّ ما يبقى انفع ؟ يامن امارات طرده من وجه صدّه
عن الوعظ تلمع . لقد نادى لسانُ حاله
بظهور القبيح من اعماله غير انا فيك نطمع .

كم تعذلون وعذلكم لا ينفعُ
ضاع الحديث فحدّثوا من يسمعُ

الفصل الثامن عشر

يامن مال الى جمع المال ، سيؤخذ منك يوم
المآل . وينساك وارثه بعد ليال . ويميل عن قصدك
من اليك مال .

١ ــ ابقيتَ مالكَ ميراثاً لوارثهِ
فليتَ شِعْرِيَ ما بقّى لكَ المالُ
٢ ــ القومُ بعدَك في حالٍ يَسُرّهُمُ
وانت من بعدهم حالتْ بكَ الحالُ
٣ ــ مالتْ بهم عنكَ دنيا اقبلتْ لهمُ
وادبرتْ عنك والايامُ أحوالُ
٤ ــ ملّوا البكاءَ فما يبكيكَ من احدٍ
واستحكم القيل في الميراث والقالُ(١)

(١) الابيات ١ــ٤ لمحمود الوراق في ديوانه ص ١١١ــ١١٢ وهي في ادب الدنيا والدين ص ٢٠٥ منسوبة لابن الرومي
ورواية الاول : ما ابقى .
ورواية الثاني : تسرهم ... فكيف بعدهم .
ورواية الثالث : الهتهم عنك .
ورواية الرابع : واستحكم القول .
والابيات ١ــ٤ في بهجة المجالس ٣٢٣/٢ لمحمود الوراق .
ورواية الاول : ما ابقى . ورواية الثاني : تسرهم .. فكيف بعدهم دارت .

الى متى تحرص على القَدَر وتنسى القَدَرْ ؟ من ذا الذي طلب مالم يقدّر فقدر ؟ لقد آذاك إذ ذاك النَصَب . واوقعك الحرص في شَرَك الشِرْك إذ نَصَب . تحمل على نفسك فوق الجهد ، ولو قنعت اراحك الزهد . فلماذا تحمل ما آذى ؟ ومن ينفعك إن قتلت نفسك ياهذا ؟ وكم تحمل الهمّ على الهمّ لامرٍ لو قضي تمّ ؟ احرصا على الدنيا لا كانت ؟ أم شكّا في عيوبها فقد بانت ؟ اين من اعرض عن نفعه في جمعه لها ولها ؟ اكتسبته حين اخرجته بعد ان حلّها ولها . بينا هو يفرح بها ويلهو . ويتكبر على اقرانه ويزهو . اوثقته بحبال المكر قهرا . بعد ان غرّته بلذتها دهرا . وابدلت ارباحه فيها خُسْرا . وعوضته من يسرها ضيقا وعسرا . وزودته الى البلى من حنوطها عطرا . وكتبته في لحده بقلم الردى سطرا . ظنّ انها قد دامت واذا بها لشقوته قد ادامت . واعتقد انها عنه قد حامت واذا بها لهلاكه قد حامت . وخُيّل اليه انها قد استقامت . واذا بها قد رحلت وما اقامت . فعَدِمَ لمّا انتقل عزّا وتوقيرا . وعاد ما ملكه مقترا فقيرا . وغودر بعد صحته شلواً عقيرا . ولم يغن عنه ما اكتسبه نقيرا . فحُلّت من قميص حليته الأزرار . واكتنفته شنار الخطايا والأوزار . واصبح والكفن له في اللحد الازار وبَعُد عنه من كان يحبّ قربه والمزار . ولم ينفعه بكاء اهله بالدموع الغزار . فلو اطلعت عليه وقد صار طعاماً للدود . وقد جفاه الرفيق الرفيق الودود . واصبح وبابُ الاماني في وجهه مغلق بل مسدود . وقد عادت محبته إذ سال صديده الى الصدود . وباشر خدّه خشن التراب في الاخدود . فلو قل له تمنّ لقال : اعود . مانفعه والله تضرّعه . ولا طاب له في لحده موضعه . ولقد سالت من الحسرات ادمعه . وساءه لوحدته مضجعه . وخلا بدنه مع الدود يقطّعه . وعام في بحر اسىً يغطّه ويرفعه . واشتغل عن من يسلّم عليه ويودعه . وانقطع عنه ما كان يؤثر مطمعه . واصبح منتظراً للحساب يتوقعه . وشرب كأساً مريرا فهو يتجرعه . واضحى حاصداً ما كان زرعه . فاعتبر بحاله فقد وعظك مصرعه . واحذر ان يكون وصفك ما تسمعه . فوا عجباً لمن يطلب عبرةً فوق هذا اما يقنعه ؟

لا تعذليه فانّ العذلَ يُولِعُه
قد قلتِ قولاً ولكن ليس يسمعُه(١)
فاستعملي الرِفْقَ في تأنيبه بدلاً
عن عنفه فهو مضنى القلب موجعه

الفصل التاسع عشر

افق من سكرتك ايها الغافل فانك عن قريب لاشك راحل . وانّما هي أيام قلائل . فخذ نصيبك من ظلّ زائل . واقض ما انت قاض وافعل ما انت فاعل .

انسيت يا مغرور انك ميت
ايقن بانك في المقابر نازلُ
تفنى وتبلى والخلائق للبلى
أبمثل هذا العيش يفرح عاقل

كانك بالموت قد ناب وقدح . واورى زناد الرحيل وقدح . وخلا كفّك مما فيه كدح . وتساوى لديك من ذمّ ومدح . اين الذين كانت الالسن تهدي بهم لتهذيبهم ؟ واضحت فلك الاختبار تجري بهم لتجريبهم ، اقامت اقامتهم منادى الرحيل لتغري بهم لتغريبهم . باتوا في القبور وحدانا لا انيس لغريبهم . اين اهل الوداد الصافي في التصافي ؟ اين الفصيح إن شاء انشأ اذا انشأ في القول الشافي ؟ اين قصورهم التي تضمنتها مدائح الشعراء صار ذكرُ القوافي القوافي ؟ لقد نادى الموت اهل العوالي والقصور العوالي الطوافي : تأهبوا لقدومي فكم غرثان طوى في طوافي . رحل ذو المال وما اوصى في تفريق كدرٍ أو صافي . ولقي في امره امرا مرّاً لا تبلغه اوصافي . ذاقوا طعام الآمال فانتُزع من افواهم يوم المآل . وعاد الخوى في الخوافي . عوى في ديارهم ذئب السقام بتكذيب العوافي . انقطعت آمالهم . وصار كل المنى في رفع المنافي . تزلزل ودّ احبابهم . والتوى وقت

(١) البيتان لعلي بن زريق البغدادي من عينيته الشهيرة . ورواية الاول في طبقات السبكي ٢٠٨ : قد قلت حقا . ورواية الثاني : من عنفه . وعلي بن زريق (ت حوالي ٤٢٠هـ) شاعر كاتب هجر وطنه وتوفي بالاندلس واشتهر بواحدته هذه . انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٩٥/٧ . وفي مخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي ٦٥/١٢-٦٧ . وكشف الظنون ١٣٢٩ . وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢٠٧/٢ . وبروكلمان ٦٦/٢ .

والابيات في كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ص ١٠٧ ورواية الثاني : يسوءهم .. فكيف بعدك دارت بعدهم حال .

التوى في التوافي . تالله لقد نال الدود والبلى ما أراد منهم والفيافي الفيافي . آلت قبورهم الى الخراب أو لا فلاندري اهذا قبر المولى أو لا ؟ وهم سوى في السوافي . كم اعرضوا عن نصيح ورفضوا ما قد تلفى في التلافي ؟ كم ندموا على ضياع زمانهم الذي خلا في خلافي ؟ كم رايت عاصيهم اعرض عني الى عدوي والتجا في التجافي ؟ اما اخبرتكم بوصف النار انها نزاعة للشوى في الشوافي ؟ فاعتبر بحالهم فانه يكفّ كفّ الهوى وهو الواعظ الكافي . فاعرض عن إلحافي ، ولو كنت بِشْراً الحافي(١) .

الفصل العشرون

الى متى ترفع البناء بغير استقامة اعمالك ؟ ويطّلع عليك فما ترضى احوالك ؟ وقد اودعت الجهل افعالك ، واللغو اقوالك ؟ وشيطانك قد خدعك ، وعدوك قد اغتالك ؟ ياطويل الامل لمن نفع قبلك ؟ يامطيع الهوى لقد غطّى عقلك . ياناسياً رحيله ليت شعري كيف انت ومن لك ، اذا نازلك الموت فانزلك وما عليك ؟ والموت سيأتي عن قليل اليك . وقد رايت مثاوي اقرانك بعينيك . فما ازعجك ذلك ولا اهالك . اين اخوانك اما رحلوا ؟ اين اصحابك اما نقلوا ؟ اين الذين اكلوا الشهوات اما أكلوا ؟ اين العاملون خلوا بما عملوا ؟ وانت على اثرهم والله فاعقل حالك . تقطعوا في القبور وتقاطعوا . ودعاهم البلى فاجابوا وسارعوا . وقادهم السرف الى ديار الاسف فتتابعوا . وذلّوا بعد عزّهم وكبرهم وتواضعوا . ولم ينفعهم الا التقى فاصلح خلالك . كانوا مرة فزالوا ، وتغيرت احوالهم في الثرى وحالوا . ولو قيل لهم : قولوا ، لاستقالوا . وستئول والله ما اليه آلوا . فمتى تذكر ارتحالك ؟ ستخلو والله في لحدك وحدك . وسينساك من خلّفت بعدك . وتبقى اسير حسرتك . اسير وحدتك . وتباشر التراب بلين خدّك . ويمزقك الثرى ويقطع اوصالك . فتيقظ لنفسك قبل انقضاء الاجل ، واحذر غرور التسويف ومكر الامل . وتفكر فيمن رحل اين نزل ؟ وتدبر امرك وبادر العمل . واصح من سكرتك واطع عن عذل . واجتهد في الخير قبل أن لا يمكن . واحسن في الحياة قبل الا تحسن . وراقب من يعلم ما تخفي وما تعلن . واقبل اليه تائبا ، واستقل من ذنوب سلفت وقد اقالك . فانما العمر ايام تعدّ . والزمان اذا مضى لا يُردّ . والامل طويلٌ . ليس لآخره حدّ . فكن حازماً عارفاً طريق الجد فجد . فهذه نصيحة من شفيق يرى لك .

(١) بشر الحافي (١٥٠ ـ ٢٢٧هـ) : من كبار الصالحين . له في الزهد والورع اخبار . وهو من ثقات رجال الحديث ، من اهل مرو سكن بغداد وتوفي بها . انظر ترجمته في : روضات الجنات ١٢٣/١ . ووفيات الاعيان ٩٠/١ ، وتاريخ بغداد ٦٧/٧ـ٨٠ . وابن عساكر ٢٢٨/٣ وصفة الصفوة ١٨٣/٢ . وحلية ٣٣٦/٨ . والشعراني ٦٢/١ . والاعلام ٢٦/٢ .

الفصل الحادي والعشرون

ايها الغافل وقد راى سلب الرفيق متى تصحو من سكر الهوى وتفيق ؟ من لك اذا ضاقت عليك الطريق وجاء الملك فغصك بالريق ؟ ونقلك عن مزار رحب الى مكان سحيق ؟ وكم ناداك لو سمعت باسم الصديق ، واراك قبرك بين القبور في اخذ الشقيق ؟

الا كل حيّ هالك وابن هالك
وذو نسبٍ في الهالكين عريقِ
فقل لغريب الدار انك نازح
الى منزل نائي المحل سحيق
وما تعدم الدنيا الدنيّة اهلها
شواظ بريق أو دخان حريق
تجرع فيها مالك فقد هالك
ويشجى فريق منهم بفريق

الابيات ١ـ٨ لابي نؤاس .
وهي في الدهش ص ١٩٨ من دون عزو ، وعزاها المحقق لابي نؤاس .
ورواية الثاني : انك راحل .
ورواية الثالث : شواظ حريق .
ورواية الرابع : تجرع فيها هالكا ... وتشجى فريقا .
ورواية السابع : لا يزال ظلالها .
ورواية الثامن : ولا ينفع الصادي .
وفي ديوانه تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي ص ٦٢١ قطعة من خمسة ابيات ، ثلاثة منها من قطعتنا هذه وبيتان لا وجود لهما في قطعتنا . وفي قطعتنا خمسة ابيات زيادة على ما في الديوان .
وفي تاريخ بغداد ٤٤٢/٧ (وعنه نقل الدكتور علي احمد الزبيدي في كتابه « زهديات ابي نؤاس » ص ٤٠ـ٤١) ستة ابيات ثلاثة منها موجودة في قطعتنا وثلاثة لا وجود لها في قطعتنا . وتظل قطعتنا منفردة بخمسة ابيات .

فلاتحسب الدنيا اذاماسكنتها
قراراً فما دنيـاك غيرُ طريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عـدوٍّ في ثياب صديق
عليك بدارٍ لا يزول ظلالهـا
ولا يتأذى اهلهـا بمضيق
فما يبلغ الراضي رضاه ببلغة
ولا ينفع الصادي صداه بريق

يامتمسكا بدنيا اذا تمت نفرت . واذا اسرّت اسرّتْ . واذا لاح غريرها فقد خدعت وغرّت . واذا مارت مرّت وامرّت ، ثم مرّت . وان اظهرت صافيها لمصافيها ، فقد ادرجت المكر في خافيها . وان لانت لطالبها ومقتفيها ، فانما تحمله الى تلفه على تلافيها . لقد صاحت بك إذ غدرت بصاحبك ملء فيها . وستخدعك كما خدعت من كان قبلك فيها . ماتزال تريك انها لك حتى ترفضك . وانها تصحّك حتى تمرضك . وانها تبنيك حتى تنقضك بينما طالبها يضحك ابكته . ويغتر بسلامته فاهلكته . ففاجأه على لهوه الاجل . ولم ينفعه غرور المنى والامل . وحصل الى لحد خلا فيه بالعمل . وابلى الله جديده . وانحلّ اذ حلّه صديده . وشينت محاسنه ومعانيه . وخلت منه قصوره ومغانيه . تالله لقد انفرد بعمله . وندم على زلله . واشتغل بهمّه ووجله . وتمنى لو زيد ساعة في اجله . وبقي رهين سيئه وحسنه . ولم يصحبه من ماله سوى كفنه فما هو الاّ اسيرٌ في حفرته ، ومنقطع في سفرته . وهذه وان كانت صفة من عنّا نأى . فكذا يكون لو انّ العاقل ارتأى . اسفا لغافل ما يفيق بالتعريض حتى يرى التصريح . وما تبين له جليّة الحال الاّ في الضريح . كأنّي به قد وكزه ملك الموت فافاق . وانتبه لنفسه والروح في السياق . واشتد كربه والتفّت الساق بالساق . وذاق طعم الاسف فاذا به مرّ المذاق . وتحيّر في امره وضاق الخناق . وعدم راحة العون ولذة الارفاق . وصار اكبر حسراته توبة من شقاق . هيهات مضى باوزاره الثقيلة . وخلا بخلاله القبيحة والجميلة . وغيّب في الترب فلا حيله . وبات النديم يلومه وسنّ اللاحي له . تالله لقد رفضه الحبيب القريب ، واصبح في حفرته اذلّ غريب . وشاهد في الحفرة كل امرٍ عجيب . وتوقدت نيران احزانه واشتدّ اللهيب . اعلمتك لمثل حاله فليعمل اللبيب . وهو والله قريب .

الفصل الثاني والعشرون

عباد الله قد حام الحِمام حول حماكم . وصاح بكم حيث اخلى النادى وناداكم . واولاكم من النصيح حقكم ، فما احقكم بالنذير واولاكم . وهو عازم على اقتناصكم وما المقصود سواكم . هذا الموت يقول : احذروا بلابلي يا اهل المنازل ، واستعدوا لنازلي . كم ذلّ جبار شديد القهر لصائلي . كم انذرت باخذ تناول .

واني لاعجب من عاقلٍ
يموت بمنزلة الجاهلِ
يبيت عن الموت في غفلةٍ
ولم يكن الموت بالغافل
سواء على الموت نفس امرىء
عزيز ونفس امرىء خامل
اذا النفس جرعتها كأسه
فيالك من رامح نابل
وكم كنت تمطله بالتقى
وكم يصبر الموت للماطل
اذا كنت تأمل ان لا تموت
اذاً يسخر الموت بالآمل
كأنك لا تره جائلاً
ولا انت تسمع بالجائل
يصول بهم واحداً واحداً
الى ان وصلت الى الصائل
ومن كان لابدّ من نقله
فأين يفرّ من الناقل ؟

يامن قد علق الهوى برمّته . وامسك الهوى بازمّته . يارهين ديون تعلّقها في ذمّته . ياعظيم الدناءة في همته . متى تحتمي يامريض ؟ متى ترتقي يامن في الحضيض ؟ متى ارى جفنك وهو من خوفي غضيض ؟ متى تصعد صحائفك وهي زهر بيض ؟ ياغافلا والموت يسعى في طلبه . يا مشغولا بلهوه مفتونا بلعبه . يامشتريا راحةً تفنى بطول تعبه . ياراضيا بدرن صحفه ودنس كتبه . اما

عللت مريضا يتقلب في مرير مرضه ووصبه ؟ اما رأيت كرب نصبه ، بعد رَوْح منصبه ؟ اما شيّعت ميّتا ثم رجعت الى سلبه ؟ اما تخلى من ماله إذ خلا بمكسبه ؟ انتفَعه عزه أو علوّ نسبه ؟ لقد ناجاك قبره ، وناداك امرؤ انتمى له فلقد ضرّ الهوى فلا تلتهم به . كانك بالموت قد نفض عليك مشرعا وشغلك بكربه ، وقد كنت متفرغا ، فنقلك عن ديارك فاصبحت منك فُرَغا . وطمس شموساً من عزك قد كُنّ بُزَغا ، واستلّ سيوفا اصبحن في دمك وُلَّغا . ناجاك بعد ان كان نذيرا مبلّغا . وبلغ بك من الحسرة والندامة مبلغا . واعدمك المراد المشتهى والمقصود المبتغى . واخرس لسانك بعد ان قال ولغا . وحمي الوطيس واشتدت الوغى . تهيأ ايها الغافل لما سيأتي . واقهر بالتفكرّ هوى النفس العاتي ، قبل ان تظهر القبائح الموجودات اللواتي ، تقول لاجلها : « ياحسرتي (ليتني قدّمت لحياتي) »(١) .

يامن يبيت على لهو ولذّات
العمر يفنى بأيام وساعات
ياغافلا وهو لايدري منيته
متى تكون ، تاهب قبل ان تاتي
كم قد رأيت رخيّ البال عاجلّه
منغّصاً عيشه من بعد راحات
غدت بهم نجُب نحو المنون الى
الحادهم فخلوا فيها بآفات
واصبح القوم صرعى في قبورهم
لا يستفيقون من سكر المنيات
فاعمل لنفسك ما ينجي وكن وجلا
يرعى عواقبه حق المراعات

الفصل الثالث والعشرون

يامن تجبّر في الدنيا وتمرّد . اين من عتى قبلك وتمرّد ؟ اين الكثير المال القوي العَدَد ؟ اين ذو الجمع العظيم خلا وانفرد ؟ اين من كان يحكي في قهره الاسد ؟ لو اطلعت لرأيت عجبا من ذلك الجسد . اين الوالد اين الولد ؟ هل ابقى الموت قبلك احد ؟

قل للمفكر في الاهلين والولدِ
ان المنيّة لا تبقي على احدِ
فانظر لنفسك واذكر هول مصرعها
واعمل مبادرة فالموت بالرَصَد
اين الملوك وابناء الملوك ومن
لم ينجه كثرة الاموال والعدد
فانظر لنفسك وافكر هل يرى لهم
ماشٍ على قدم او باطشٍ بيد ؟
اضحت ديارهم من بعدهم عُطُلا
اخنى عليها الذي اخنى على لُبَد

اخواني هذه خيول المسير قد اُسرجت ، ونفوس الاقران عن مقرها قد اخرجت ، وعقول الغافلين بالاماني قد استدرجت وكأنها بستور الآمال قد ادرجت . اما حادى الموت قد غرّد ؟ اما سيف المنون قد تجرّد ؟ اما عاينت سلب من قد تمرّد ؟ اما رأيت كيف اخرج عن الدنيا من بها تفرّد ؟ اين اصحاب القصور الحصينة ؟ والانساب العالية الرصينه ؟ واخوان الحلوم الرزينه ؟ وذو القوة المكينه ؟ فاولوا الوقار والسكينه ؟ قضت عليهم والله ايدي المنايا فظفرت. وخلت اكفهم عن الدنيا فكفّت وصفرت . ونقلوا الى اجداثٍ ما مُهّدت إذ حفرت . ورحلوا بذنوب لا يدرى هل غُفرت . والصحيح منهم بالاحزان قد سُقِم . ومذعورهم الى دار البلى لا يقم . والكتاب قد سطر بالذنوب ورُقم . ولذيذ عيشهم بالتنغيص قد خُتم . وفراقهم لاهاليهم واموالهم حُتم . والولد قد ذلّ بعد ابيه ويُتم . هيهات تقلبت بتلك النفوس اهوال النقل . وقهرها اسر الممات فحبس واعتقل . وطلبت ان تقال مما جنيت فلم تُقل . وصارت عبرةً في الاخبار لمن علم وعقل . الا قلبٌ حاضر نخاطبه . الا عبد يرعوي نعاتبه . الا مذنب يلين بالوعظ جانبه . يامن شاب وماتاب ولا اصلح . يامعرضا الى ما يؤذي عن الاصلح . ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ما اشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب اقبح . اذا نزل الشيب ومازال العيب فبعيدٌ انْ يبرح .

١ – واذا تكامل للفتى من عمره
خمسون وهو الى التقى لا يجنحُ

---

(١) تمام الآية الكريمة : (يقول ياليتني قدمت لحياتي) ، ٢٤ ك الفجر ٨٩ .

٢ ـ عكفت عليه المخزيات فما له
متأخر عنها ولا متزحزح
٣ ـ واذا رأى الشيطان غرة وجهه
حيّا وقال : فديتُ من لا يفلح(١)

الفصل الرابع والعشرون

عباد الله الى متى هذه الغفلة الشاملة ؟ وكيف أعرضتم عن الارباح الكامله ؟ ولم آثرتم السمومَ القاتله ؟ ومن اي وجه اتتهم الآفات المعاجله ؟ كأنك بجنود العاجله . ياعجبا للراضي بالسموم القواضي . يلهو بامله والموت لاجله في تقاضي . ويضيع باقي عمره كضيعة الماضي .

من لدنيا كثيرة الاعراض
ولنفس طويلة الاغراض
ولسكان دار ملك خراب
قد تولت وآذنت بانقباض
وهمُ يأملون فيها خيالاً
خلّبُ البرق كاذبُ الايماض
ارتقب للمنون جيلا فجيلا
فهي الداء للقلوب المراض
بغرور وزخرف شيب منها
بالدواهي وبالحتوف القواضي
اهلُ دارٍ توارثوها خرابا
يأملون الحياة والموت قاضٍ
والمنايا مطلة شارعات
وهمُ للمنون كالاغراض
والليالي تحوزهم والمنايا
جمّة الورد مترعات الحياض
وهم يحشرون مرّا حثيثا
زُمراً في مزالق ودحاض(٢)

ايّهذا المعلل النفس جهلاً
اقض ماانت ياأخا الجهل قاض
بان عنك الصبا واصبحت كهلاً
ظاهر الشيب معلماً بالبياض
هل سألت الديار عن كل عاتٍ
من همام اخي هموم عراض ؟
بعد ملك وبهجة وسرور
طالع الدهر جمعه بارفضاض
فثوى غائبا فقيراً ذليلا
مفرداً في الثرى وفي الرضراض
اخسرُ الناس بائع النفس جهلاً
بالاباطيل بيعه عن تراضي

عباد الله مابال النفوس تعرف المصير ولاتصرف عن التقصير ؟ وكيف رضيت بالزاد اليسير ، وقد علمت طول المسير ؟ وكيف اقبلت على الدبير ، وقد حُذّرت غاية التحذير ؟ اما تخاف زلل التعثير ، اذا حوسبت على القليل والكثير ؟ والفتيل والنقير ؟ يامن يأمن بطش ذا البطش ويبارز عالما برويته ولم يخش . يامن اذا وزن طفّف . واذا باع غشّ . انسيت يوم الركوب على النعش ؟ انسيت النزول في بيداء الدبيب والوحش ؟ انسيت الحلول في لحد خشن الفرش ؟ يامغترا بزخرف الهوى قد الهاه النقش ، اذا جنيت على نفسك فعلى من الارش ؟ يامن اذا جاء وقت الفرض التوى ، واذا حان حين اللهو هش . يامن لا يصبر للقضاء ولا على خدش . كن على قدم الانتباه فانت بعين ذي العرش أما آن للعيون الجامدة ان تدمع ؟ وللقلوب الغافلة ان تخشع ؟ وللافئدة ان تنزعج وتتصدع ؟ ايها الموعوظ كانه لم يسمع . اما انت عن قليل في اللحد توضع . اذا خليت وخلّيت كيف تصنع ؟ يامغترا بالامل ذكر الاجل انفع . يامتعلقا بزخرف دنيا تروق وتلمع . لاتلهينّك فانها حين تصل تقطع . اين الفك ايها الفتى اما ودّع ؟ اين عزّ ذي العز اما تضعضع ؟ اترى انت حاضرٌ عندنا أوما تسمع ؟ انتبه لنفسك فالمجدّ قد اسرع . وتأهب للرحيل فما في البقاء مطمع . وانتظر ملك الموت قبل النزول وتوقع . ياعجبا كيف تنسى العيوب وتهجع ! وتهجم على نظر الحرام ولا ترجع !

---

(١) الابيات في المدهش ص ٣٥٢ . نسبها المحقق للبحتري . والابيات في ديوان البحتري طبعة الصيرفي ٤٨٢/١ وفيها اختلاف كبير : رواية الاول .
واذا مضى للمرء من اعوامه
خمسون وهو عن الصبا لم يجنح
ورواية الثاني : ... وقلن قد
اضحكتنا وسررتنا ، لا تبرح
ورواية الثالث : واذا رأى ابليس ... لم يفلح

(٢) الدحض من الامكنة : الزلق والجمع دحاض .

الفصل الخامس والعشرون

ايها المساكن للكسل والقصور ، المفتر بالمساكن الانيقة والقُصور . تهيأ لاستلاب الموت بين الورود والصدور . وتأهب للرحيل فما تدري بما يدور المقدور .

١ ـ أرواحٌ مُوَدَّعٌ أم بُكورُ
لَكَ فانظر لأيِّ حالٍ تَصيرُ(١) ؟
٢ ـ وابيضاضُ السَّواد من نُذر المو
ت وهل بعده لنفسٍ نذيرُ
٣ ـ ايها الشامتُ المعيّرُ بالدَّهْـ
ـرِ انت المبرّأُ الموفورُ ؟
٤ ـ أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الـ
ـأيّام ؟ بل انت جاهلٌ مغرورُ
٥ ـ من رأيت المنونَ خلّدنَ ام منْ
ذا عليه من ان يُضام مجيرُ ؟
٦ ـ اين كسرى كسرى الملوك انو
شروان ، أم اين قبله سابور ؟
٧ ـ وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ
ـروم لم يبقَ منهم مذكورُ
٨ ـ واخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دجـ
ـلةُ تجبى اليه والخابورُ
٩ ـ شاده مرمراً وجلّله كلسـ
ـاً فللطير في ذُراه وُكورُ
١٠ـ لم يهبه ربُ المنون وباد الـ
ـملكُ عنه ، فبابه مهجورُ
١١ـ وتذكر ربَ الخورنق اذ أشـ
ـرف يوماً وللهدى تفكيرُ
١٢ـ سرّه ماله وكثرة ما يمـ
ـلك والبحر معرضاً والسديرُ
١٣ـ فارعوى قلبه فقال وما غبـ
ـطة حيٍّ الى الممات يصيرُ
١٤ـ ثم بعد الفلاح والملك والـ
ـإمّةِ ، وارتهمُ هناك القبورُ
١٥ـ ثم اضحوا كانهم ورقٌ جفّـ
ـت الدّت به الصبا والدبورُ

اخواني : قد وعظكم سلب سلب غيركم . وقربت النوق نوق الرحيل لسيركم . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين .

تم الجزء الثاني من زبد المواعظ وجواهر الانفاس من كتاب التحفه .

---

(١) الابيات ١ـ١٥ من قصيدة شهيرة لعدي بن زيد العبادي عدتها خمسون بيتا مثبتة في ديوانه ص ٨٤ـ٩٢ .
ورواية الاول : لك فاعلم .
ورواية الثاني : من نذر الشر وهل بعده لانس .
ورواية الخامس : يضام خفير .
ورواية التاسع : وخلله كلسا .
ورواية العاشر : فباد الملك منه .
ورواية الحادي عشر : وتامل ربٌ .
ورواية الثالث عشر : وقال .
ورواية الخامس عشر : فالوت به .